Al-Adab Journal Issue. No (151) Supplement (December) 2024

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

The Problem of Freedom in Abdelkarim Soroush's Perspective

Asst. Lect. Mohammed Hassan Faisal Aziz
University of Nahrain / Rehabilitation, Employment and Follow-up Department
mohammed.H@nahrainuniv.edu.iq
Asst. Prof. Ammar Abdulkadhim Roumi (Ph.D.)
University of Baghdad / College of Arts / Department of Philosophy
Ammar.a@coart.uobaghdad.edu.iq

Copyright (c) 2024 (**Asst. Lect. Mohammed Hassan Faisalm Asst. Prof. Ammar Abdulkadhim Roumi (Ph.D.)**

DOI: https://doi.org/10.31973/6h3cfn35

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

Soroush is considered to be at the forefront of innovative Iranian thinkers, as well as one of the symbols of the new science of theology, as we will see his interest in topics raised on the global scene, such as freedom, democracy, and religious pluralism, in his attempt at intellectual cross-fertilization between Islamic culture and Western culture. At the same time, we will notice that the Western culture, whose intellectual foundations Soroush relies on, will impact his idea, especially on religious reading, which will change how he deals with religious knowledge away from the traditional reading of religion.

Soroush gave great importance to the issue of freedom. This topic has become a major concern in the world, especially in the philosophical and theological field, and freedom is a lofty issue and goal for him. In addition, Soroush linked respect for freedom and truth, and this connection is what Soroush seeks; because humans need freedom.

Keywords: Abdel Karim Soroush, freedom, new theology, knowledge, problematic.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

إشكالية الحرية عند عبد الكريم سروش

م.م محمد حسن فيصل عزيز
جامعة النهرين/ شعبة التأهيل والتوظيف والمتابعة
mohammed.H@nahrainuniv.edu.iq

أ.م.د. عمار عبد الكاظم رومي
جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة
Ammar.a@coart.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

يعد سروش في طليعة المفكرين الإيرانيين المجددين، فضلًا عن كونه أحد رموز علم الكلام الجديد، إذ سنرى اهتمامه بالموضوعات المطروحة على الساحة العالمية من قبيل الحرية و الديمقراطية والتعددية الدينية، في محاولة منه التلاقح الفكري بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية. في الوقت نفسه سنلاحظ أنَّ الثقافة الغربية التي سيعتمد سروش على مرتكزاتها الفكرية سينعكس تأثيرها على فكرته، ولاسيما في موضوع القراءة الدينية، مما سيغير طريقة تعاطيه مع المعارف الدينية بعيدًا عن القراءة التقليدية للدين.

إنَّ سروش أعطى أهمية كبيرة لموضوع الحرية؛ لأنَّ هذا الموضوع أصبح الشغل الشاغل في العالم، لاسيما في المجال الفلسفي والكلامي، إذ إنَّ الحرية عنده قضية سامية وغاية رفيعة، فضلًا عن أنَّه سنرى سروش يربط بين احترام الحرية والحقيقة، وهذا الارتباط الذي يسعى إليه سروش؛ بسبب أنَّ البشر محتاجون إلى الحرية.

الكلمات المفتاحية: الحرية، إشكالية، عبد الكريم سروش، المعرفة، علم الكلام الجديد.

المقدمة:

يعد سروش في طليعة المفكرين الإيرانيين المجددين، فضلًا عن كونه أحد رموز علم الكلام الجديد، إذ سنرى اهتمامه بالموضوعات المطروحة على الساحة العالمية من قبيل الحرية و الديمقراطية والتعددية الدينية، في محاولة منه التلاقح الفكري بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية. في الوقت نفسه سنلاحظ أنَّ الثقافة الغربية التي سيعتمد سروش على مرتكزاتها الفكرية سينعكس تأثيرها على فكرته، ولاسيما في موضوع القراءة الدينية، مما سيغير طريقة تعاطيه مع المعارف الدينية بعيدًا عن القراءة التقليدية للدين.

ومما تجدر الإشارة إليه، إنَّ الثورة الإسلامية في إيران قد أدت دورًا مهمًا في حياة سروش الفكرية، ولاسيما كونه كان أحد الشخصيات المشاركة فيها عن طريق عضويته في الشورى العليا للثورة الثقافية. فضلًا عن كونه سيتواجد في كافة المحافل العلمية و الجامعية للأنشطة العلمية والفلسفية.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

إنَّ سروش أعطى أهمية كبيرة لموضوع الحرية؛ لأنَّ هذا الموضوع أصبح الشغل الشاغل في العالم، ولاسيما في المجال الفلسفي والكلامي، إذ إنَّ الحرية عنده قضية سامية وغاية رفيعة، فضلًا عن أنَّه سنرى سروش يربط بين احترام الحرية والحقيقة، وهذا الارتباط الذي يسعى إليه سروش؛ بسبب أنَّ البشر محتاجون إلى الحرية.

مفهوم الحرية عند سروش:

يذهب سروش إلى »أنَّنا نعيش هاجسًا وحساسية بالغة بالنسبة للحرية ونسعى بشتى السبل لتحقيقها ونيلها، وكلما حصلنا على مقدار منها نتحرك في طلب المزيد؛ لأنَّنا نمتلك جوهرة في باطننا هي جوهرة العقل، وهذه الجوهرة مكونة من شيء منفصل ومن عالم آخر« (سروش، ٢٠٠٩، ص٤٥-٤٦).

وفي هذا الأمر، يولي سروش أهمية كبيرة لموضوع الحرية، ذلك لكونها تعد إحدى همومه القديمة والدائمة، إذ إنَّ الحرية عنده عبارة عن قضية سامية وغاية رفيعة، وسعى من خلال اهتمامه لهذه المسألة إلى إيجاد معالجات مختلفة لها، ومن هذه المعالجات هو افتراضه أنَّ الإنسان كائن يتصف بالحساسية إزاء موضوع الحرية، انطلاقًا من كونه موجودًا عاقلًا. وفي هذا الجانب يوجه سروش كل اللوم إلى من يعدون الحرية مبدا مناهض للحق، ومدعاة استشراء الباطل. إذ إنَّ تحقيق الحرية هو من أكبر وأهم الحقوق عند الإنسان، فضلًا عن اعتقاده أنَّ احترام الحرية هو في حد ذاته احترام للحقيقة؛ بسبب أنَّ الحقيقة مستترة، ولأجل ذلك فنحن البشر محتاجون للحرية من أجل الكشف عن الحقيقة. بالإضافة إلى أنَّ الحرية ممهدة أو مقدمة لفردانية الإنسان واستقلاله، إذ إنَّ الإنسان الذي يطالب بالاستقلال هو في الأصل ينشد الحرية (كاجي، ٢٠٠١م، ص٢١٤).

وأيضًا في هذا الجانب يقول سروش: »إنَّنا نعيش هاجس الحرية ونتحرك لتجسيدها في واقعنا الفردي والاجتماعي من جهة أنَّنا عقلاء. فلو لم يكن الموجود عاقلًا فإنَّ الحرية وعدم الحرية بالنسبة له سواء. فالأحياء التي تقع في مرتبة أدنى من الإنسان ولا تملك العقل في مضمونه الاستدلالي البشري أو تعيش في مرتبة أعلى من الإنسان كالملائكة إلّا أنَّها لا تملك عقلًا استدلاليًا بمعناه البشري. فلا معنى للكلام عن الحرية بالنسبة لكلا هاتين النقطتين) «سروش، ٢٠٠٩، ص٢٩).إذ نلاحظ أنَّ سروش اهتم كثيرًا في مفهوم الحرية، وفضلًا عن حث الأفراد إلى السعي في سبيل الحصول على الحرية، ذلك لأنَّ إنشاد الحرية هو في حقيقة الأمر إنشاد إلى الحقيقة، فالحرية والحقيقة وجهان لعملة واحدة.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

التعددية المعرفية

في هذا السياق، يظهر التعامل النقدي العقلاني مع الوحي والمعارف الدينية كوسيلة تسمح بتجاوز عقلية الفرقة الناجية التي تقوم بتحويل المجتمعات والطوائف إلى معسكرات عقائدية. يفتح هذا النهج أفقًا للتعدد والاختلاف المشروع في فهم وتفسير الأديان، مما يضع حدًا لادعاء كل مجتهد أو فئة بحيازة المفاتيح الحصينة للإسلام الصحيح. يسمح أيضًا بفتح المجال لفهم المعرفة الدينية كمتغيرة أو متراكمة أو متجددة، مما يسهم في تعزيز التفاعل الديني الديمقراطي للتنوع الفكري والثقافي في المجتمع(سروش، ٢٠٠٩، ص٢٢.)

و»إنَّ تعددية عبد الكريم سروش نظرية معرفية في الدين وفي باب حقانية الأديان والمتدينين، تكشف عن حادثة طبيعية تعكس في طياتها حقانية كثيرًا من الأديان، وأنَّ كثيرًا من المتدينين محقين في اعتناقهم لدينهم، فنحن كعرب ومسلمين نعيش فوق بحر من التنوع العرقي والديني والمذهبي والطائفي. تقوم التعددية عند سروش على دعامتين أحداهما التنوع في الفهم، و الثانية التنوع في تغير التجارب الدينية، لذا يفرق سروش بين الدين الذي وصفه بالخالد، وبين المعرفة الدينية التي يعدها متغيرة ومتحولة ونسبية، فهي معرفة الناس لهذا الدين وفهمهم له، كما هي معرفة تخضع لصيرورة التاريخ وتخضع لحيثيات اجتماعية«)بلخيري، ٢٠١٩م، ص٢٧٠-٢٧١). نجد في هذا الجانب ارتباط بين التعددية الدينية ونظرية المعرفة عند سروش، أي هو يربط بين الحقلين، ذلك لأنَّه يرى أنَّ نسبية المعرفة لدى الإنسان ستؤدي إلى تنوع الأديان، وبذلك لا يمكن إجبار فئة معينة على الاعتقاد بدين فئة أخرى، وهذه التعددية في الدين يكون منبعها الأساس هو المعرفة، فالبشر لا يمتلكون معرفة مطلقة، وإنَّما معرفة نسبية.

ومن دون شك، تظهر جهود سروش في النقد عن طريق دمج الجرأة الفكرية بالجدة المعرفية. عندما يقرر أنَّ المعرفة الدينية هي متغيرة ونسبية، وقد تكون عرضة للخطأ والتناقض، يتحدى الرأي الراسخ لدى الأكثرية من الإسلاميين، الذين يرون معارفهم الدينية كمعلومات ثابتة وكاملة، صحيحة بقدر ما هي ضرورية ومتسقة مع الأصول والنصوص. وهذا يؤدي إلى ادعاءات كل فريق بأنَّ فهمه للإسلام هو الفهم الأصيل والصحيح، مما يستبعد آراء الآخرين ويحددها دائرة الإسلام أو الإيمان) حرب، ٢٠٠٣م، ص٢٨٩).

إنَّ اهتمام سروش بالمعرفة الدينية هو كونها يعدَّها غير كاملة بل تكتمل دائمًا، فضلًا عن كونه ركز اهتمامه على التعددية الدينية في العالم، وأما المتدينيين ففقد أعطاهم الأحقية في مسألة اعتقادهم، ذلك لأنَّ أي سبيل اتبع يؤدي إلى الحق ولو بجزء، فالمتجه إلى الحق لم يخطئ على الإطلاق (بلخيري، ٢٠١٩م، ص٢٧١).

ونلاحظ أنَّ التعددية الدينية ترتكز اليوم بشكل أساسي على عمادين مهمين، أحدهما يتمثل في تنوع استنتاجاتنا من النصوص الدينية، وأما ثانيهما فيكمن في تنوع تفاسيرنا للتجارب الدينية. إذ إنَّ البشر محتاجون للتفسير لدى مواجهتهم الكتب المنزلة، فضلًا عند مواجهتهم مع السامي والمتعالي. وأنَّ البشر مضطرون إلى إزالة الستار عن النصوص الصامتة أو التجارب الخام الأولية، ومن ثم القيام باستناطقها. وهذا الاكتشاف وتلك الإزاحة للستار ليسا ذا شكل واحد أو منهج منفرد، وإنَّما هما متنوعان ومتعددان، وهذا هو بالضبط سر وجوهر التعددية الدينية الداخلية والخارجية (سروش وآخرون، د.ت، ص١٩-٢٠).

إذ »إنَّ ثمة مدلولًا واضحًا لتعددية الفهم وتفسير النص، ألّا وهو نفي وجود تفسير رسمي وواحد للدين، وبالتالي فليس أي مرجع ومفسر رسمي له، والمعرفة الدينية، كأي معرفة بشرية، ليس فيها ثمة قول حجة تعبدًا لشخص ما على شخص آخر، كما أنَّه ليس هناك فهم مقدس ومتعالٍ عن المساءلة. وهذا الكلام كما هو صادق في علم الكيمياء هو كذلك بلا أية زيادة ونقيصة في الفقه والتفسير أيضًا، فكل إنسان يتحمل وزر مسؤوليته على كتفه، وهو بنفسه سيحشر أمام الله تعالى وحيدًا) «سروش وآخرون، د.ت، ص٢٤). ونلاحظ عند سروش في نصه إلى تأكيد على موضوع التعددية المعرفية، ولاسيما في جانب فهم وتفسير الدين، وذلك عن طريق رفضه ونفيه لوجود تفسير رسمي واحد للدين، وفي الوقت نفسه نلاحظ تأكيد على أنَّ المعرفة الدينية حالها حال أي معرفة بشرية، لا تحمل قولًا حجةً يعبد بها شخصًا آخر، ولعدم وجود فهم مقدس ومعفى من المساءلة.

يعد الله تعالى، حسب وجهة نظر سروش، المبادر الأول في زرع بذور التعددية في العالم، إذ أرسل أنبياءً متعددين، وتجلى على كل واحد منهم وبعثه إلى مجتمع محدد. جعل في ذهن وعلى لسان كل نبي تفسيرًا خاصًا، مما يمنح التعددية حرارة وقوة تفسيرية (سروش وآخرون، د.ت، ص٣٤).

تعدد وجوه التفاسير في بعض الأحيان يعزى إلى تعدد وجوه الواقع نفسه. الواقع ليس محصورًا في صفحة واحدة أو بُعد واحد، وإلى جانب هذا التعدد في جوانب الواقع، يظهر تعدد آخر في وجهات نظر الناظرين الخارجيين، مما يسهم في تنوع التفسيرات (سروش وآخرون، د.ت، ص٣٤).

يرى سروش أنَّه في حال كانت هيكلية الواقع بسيطة وغير معقدة، وإذا كان هناك حق أو مجموعة محدودة من الحقائق في هذا العالم، وإذا لم يكن هناك وجود لتفصيلات فوقية أو تفصيلات دنيا أو عمق أو سطح، وإذا كان العالم الوجودي خاليًا من الرموز والأسرار، وإذا كان بإمكاننا قول واستماع وفهم جميع الحقائق والأسرار بكل سهولة ويسر، وإذا كان

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

للغة القدرة على توضيح الحقائق وكشف الأسراء، إذًا يمكن التمييز بسهولة بين الهداية والضلالة والحق والباطل. لن يكون إنشاء الفروقات والتنوع مسوغا مقبولًا في تلك الحالة. لكن، نتيجة لتعدد الحقائق وتداخلها، سيؤدي ذلك بالضرورة إلى فتح باب لهذا التنوع وتوسيع نطاقه. والسبيل الوحيد لنفي التعدد يكمن في استعراض الواقع وتبسيطه، أي تسطيح الأمور وتبسيطها (سروش وآخرون، د.ت، ص٤٢).

يعد سروش الدين ثابتًا لا يعرف النقص، ولا يتأثر بتغيرات الزمان والمكان، إذ يظل مبدئه ثابتًا وخالدًا. وفي رؤيته، يُصور الدين كشيء صامت، مماثل للطبيعة في صمتها، إذ يُشبه الدين بحبل لا يحمل اتجاهًا عمليًا تطبيقيًا (سنوسي، ٢٠١٨م، ص١٤١-١٤٢).

يشهد سروش أنَّ تاريخ العلوم غير الدينية قد ترك أثرًا ملموسًا في تطوير التفكير المتعدد، وفي سياق تاريخ الرياضيات، نجد محطات فلسفية مهمة أدت إلى تغيير جذري. كل جيل رياضي ينفي أنَّ الرياضيات التي سبقته في جيل سابق كانت قادرة على حل تحدياتهم الفكرية (سنوسي، ٢٠١٨م، ص١٤٧).

يربط سروش بين العقل والعقلانية والحرية، ويرى بوجود علاقة وثيقة بين العقل والعقلانية من جهة، وبين الحرية من جهة أخرى، فضلًا عن عدم الخشية من الوقوع في الخطأ المنهجي الذي يقودنا إلى الصواب، وإنَّما الخشية من الحق والباطل الاعتباطيين، ذلك لأنَّ الإنسان إذا فقد التحكم المنهجي وحصل على الحق أو الباطل، فكلا هذين الأمرين غير مطلوبين؛ بسبب أنَّ يحل الخطأ في محل الصواب، ويلبس المدنس ثياب المقدس، عكس الخطأ المنهجي الذي لا يلحق ضررًا في حركة الإنسان العقلانية، فالأول يمكن إحياء التحكم المنهجي في واقع الحياة، وفي الوقت نفسه يكون ركيزة لنا في طريق الوعي، عكس الثاني الذي سيقودنا نحو الأمل بالربح المشكوك(سروش، ٢٠٠٩، ص٣٣). و»العقل يمنح الإنسان استقلالًا ومسؤولية وحرية، بينما الإنسان الكسول الذي لا يرتاح لثقل المسؤولية والحرية، فإنَّه يروح التخلص من شر العقل بأي ذريعة وأفضلها التمسك بذريعة العشق والسكر العرفاني للتخفيف من ثقل مسؤولية العقل، وكذلك يمنح الإنسان لقب العاشق ((بدون مسؤولية))، فلا ينبغي كفران هذه النعمة وأنْ نتخذ كلمات ومعارف هؤلاء العظماء ذريعة وحجة في ترسيخ القداسة المزيفة للعاطفة على حساب العقل) «سروش، ٢٠٠٩، ص٤١).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

نظرية القبض والبسط:

في نظرية القبض والبسط يرى سروش »إنَّ عناصر المعرفة البشرية المختلفة في تفاعل مستمر، وبينها ارتباط وثيق. فإذا ما ظهرت في العلم نقطة مهمة، فإنَّها تؤثر في علم المعرفة وفي الفلسفة، كما أنَّ تطور الفهم الفلسفي، يبدل فهم الإنسان والكون، ويهبهما وجهًا آخر، ومن ثم تأخذ المعرفة الدينية معنىً جديدًا. أي إنَّ الحقيقة البسيطة التي تولد في زاوية ما تتقدم بتأنٍ، شجاعةً ومتواضعةً، فتغير كل جغرافيا المعرفة، وتلزم المعارف الأخرى أنْ تبدل أمكنتها. أيمكن أنْ يدخل ضيوف جدد في محل ما دون أنْ يغير الضيوف السابقون أماكنهم، وتتغير وضعيتهم في ما بينهم؟ معنى ذلك أنْ توسع المعرفة، ليس توسعًا بسيطًا فقط، كمًا وحجمًا، وإنَّما هو توسع داخلي ومعنوي. كل نقطة حديثة الورود تدعو جميع المعارف الأخرى لتقوم بدور الحكم بالنسبة إليها، وتعلن قربها أو بعدها منها) «سروش، ٢٠١٠م، ص٨٣). وفي هذا النص يشير سروش إلى تفاعل مستمر بين عناصر المعرفة البشرية، إذ يؤثر التطور في مجال العلم في المعرفة والفلسفة. وفي الوقت نفسه يشدد على أنَّ تغير الفهم الفلسفي يؤدي إلى تحول في فهم الإنسان والكون، ويؤثر في المعرفة الدينية. ونلاحظ عنده أنَّ الحقائق البسيطة قد تغير جغرافيا المعرفة بشجاعة وتأثير، مما يفرض تغييرًا على المعارف الأخرى.

ويتجلى التماهي في نظرية القبض والبسط عند سروش عن طريق تفريقه بين الدين بوصفه مُعطى إليهًا، ثابتًا ومُقدسًا، وبين المعرفة الدينية بوصفها صناعة بشرية، متغيرة قابلة للصواب والخطأ، وهذه المعرفة هي شأنها شأن باقي المعارف البشرية التي تتكامل في إطارٍ شرطي تاريخي متحول (دواق ومختار، ٢٠٢٣م، ص١١١).

و»إذا وجد علماء المعرفة أنَّ المعرفة الدينية غير متنوعة، فإنَّهم يسعون وراء تعليل هذا الأمر وتحليله، لماذا هو كذلك، وما السر في أنَّ للجميع رأيًا واحدًا على الرغم من تتالي العصور وتطاؤلها. وحين يحدث تنوع في أركان المعرفة الدينية، ويحمل طوفان التحول جميع شؤونها، فإنَّهم بعد تصديق هذا التحول، يقبلون على كشف سره، وتوضيح أسبابه، ويتعرفون إلى العوامل المعرفية وغير المعرفية التي تدخلت في هذا التحول والتكامل، وأثرت فيه، ويكشفونها. وفي كل حال، الكلام ليس على كون التكامل جيدًا أو سيئًا، وإنَّما يدور الكلام حول أنَّ التكامل أمر واقعي وليس نتيجة خدمة أحدٍ أو خيانته المتعمدة؛ وسببه أنَّ المعرفة الدينية بشرية وجمعية «(سروش، ٢٠١٠م، ص١٢١). نلاحظ هنا عند سروش إشارة إلى استفسار العلماء حيال قلة التنوع في المعرفة الدينية، وكيف يحاولون تحليل وتفسير هذا الأمر. عند حدوث تغيرات في أركان المعرفة الدينية، يبحثون عن أسباب هذه

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

التحولات و يكشفون العوامل المعرفية وغير المعرفية التي أثرت فيها. وفي الوقت نفسه يؤكد النص أنَّ التكامل في المعرفة الدينية هو واقع يتطلب فهمًا وتحليلًا، ويبرز أنَّ هذا التكامل ليس نتيجة لخدمة أو خيانة متعمدة، وإنَّما هو جزء من الطبيعة الإنسانية والاجتماعية للمعرفة الدينية.

المعرفة الدينية، كغيرها من أشكال المعرفة، تنشأ من جهد الإنسان وتأمله، وهي دائمًا تجمع بين آراء مترددة وثقة ثابتة، وتتضمن الصواب والخطأ. لا يمكن إنكار تطور وتكامل هذه المجموعة. لا نزعم أنَّ الوحي الذي جاء بواسطة الأنبياء يتممه البشر، ولكننا نشدد على أنْ فهم البشر للوحي يتطور. لا نقول أيضًا إنَّ هذا التحول يرتبط دائمًا بظهور آراء ذات قيمة، ولكننا نؤكد أنَّ التقدم عبر التحديات والأزمات يلعب دورًا في تصحيح المسار وتسهيل التطور (سروش، ٢٠١٠م، ص١١٩).

تقوم نظرية القبض والبسط عند سروش على مفاهيم أساسية عدة، نلخصها فيما يأتي (ملكيان، ٢٠٠١م، ص٢٩):

١. الدين و المعرفة الدينية يعدان أمورًا متغيرة وليست متناقضتان.
٢. الدين يظل ثابتًا من دون أي تغيير أو تحول.
٣. المعرفة الدينية تعد جزءًا من المعارف البشرية.
٤. تتداخل المعارف البشرية وترتبط ببعضها.
٥. المعارف البشرية قابلة للتغيير والتحول.
٦. تحولات المعارف البشرية تكون بناءة و متكاملة، وليست تراجعية أو سلبية.

يعد سروش أنَّ المحددات والقيود الدنيوية في النص لا تستوعب أي معنى، حتى لو كان تقديريًا، وفي الوقت نفسه، يشدد على أنَّ النص لا يتسم بضرورة وجود معنى واحد. يرى أنَّ عالم النص يتخذ طابعًا مبهمًا وغامضًا ذاتيًا، إذ يكون تحديد معنى واحد أمرًا نادرًا. بما أنَّ النص في جوهره يظل أمرًا غامضًا ومتعدد المعاني، تكمن القاعدة الأساسية في تعدد المعاني. وبناءً على ذلك، يقول سروش إنَّنا نواجه في عالم النص نوعًا من عدم التعين الذاتي والواقعي. لا يمكن لأحد أنْ يكشف عن غموض النص ويصل إلى معناه الواقعي؛ لأنَّه ببساطة لا يوجد معنى واقعي، والمعاني الصحيحة متنوعة. يتطلب استخراج المعنى الصحيح جهدًا في تنقية أساليب الفهم، ومع ذلك، هذا المعنى ليس هو المعنى الواقعي، ومن ثم تظهر تعدد المعاني الصحيحة وحتى المعاني الغريبة بعيدة عن النص، ولا يمكن الجزم بعدم صحتها (الأعرجي والعبيدي، د.ت، ص ٧٩).

يتسم كتاب القبض والبسط بوفرة هائلة من المعلومات والمعارف، ويتنوع بغنى في التحليلات والتمييزات، وذلك محبوكًا بلطائف الحجج ومنطق الاستدلال. فضلا عن ذلك، يتسم بغزارة في الأمثلة والشواهد، التي تستمد قوتها سواء من الوقائع الواقعية أم من فروع متنوعة للعلم (حرب، ٢٠٠٣م، ص ٢٨٨).

يرى حرب أنَّ كتاب (القبض والبسط) يشكل تجميعًا لمعلومات وأدلة وأمثلة، مع بعض التكرار، إذ كتبت المقالات أساسًا وجمعت فيما بعد بين دفتي الكتاب. المحور الأساسي الذي يهتم به سروش هو نقد المعرفة الدينية. ويتجنب في الوقت نفسه استعمال مصطلح ((النقد)) مباشرة، إلا أنَّه يقوم كتابه بتحليل العقلانية والفحص المعرفي للمعرفة الدينية. وكذلك يقوم بشرح طبيعتها وتحليل هيكلها، فضلًا عن تركيزه على إبراز التحديات التي تواجهها ويوضح سبل تجديدها وتطويرها (حرب، ٢٠٠٣م، ص ٢٨٨).

استنادًا إلى نظرية القبض والبسط، يطبق سروش هذه الفلسفة على واقع قارة التعددية الدينية، معترفًا بتنوع الواقع وتقبله لهذا الواقع أو غيره. تتضمن مبدأ البلورالية الاعتراف بشكل رسمي بتعدد الثقافات والأديان واللغات والتجارب البشرية. تعدُ البلورالية، كما يراها سروش، نتيجة للحضارة الحديثة، وتتناول قضايا مهمة في مجالين أساسيين: التنوع في الأديان والثقافات، والتنوع الاجتماعي، مما يترجم إلى وجود دين بلورالي مجتمع بلورالي (سنوسي، ٢٠١٨م، ص١٤٦).

البُعد السياسي للحرية:

إنَّ الحكومات الديمقراطية الليبرالية الحديثة تتميز بتباين واضح عن حكومات الماضي الدينية التي اعتمدت في عصور الباباوات الكاثوليك والخلفاء الملسمين، على تقويض يفترض أنَّه قد جاء من الله بصورة حصرية وليس من الإنسان. في أفضل الحالات، كانت ترى رضى الشعب كنتيجة فرعية لرضى الله. على الجانب الآخر، تسعى الحكومات الديمقراطية الليبرالية اليوم إلى إسعاد وإرضاء الشعب بشكل منفصلٍ عن رضى الله. ومع ذلك، يمكننا أنْ نستمتع بحريات هذه الحكومات الديمقراطية الحديثة دون إغفال وجود الله (سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٠٣).

يرى سروش أنَّ »رؤية الليبراليين فتفيد تحديدًا أنَّ الإنسان إذا خرج عن الدين، لم يخرج عن الإنسانية. حدود الدين والإنسانية ليست واحدة، فدائرة الإنسانية أوسع بكثير. وإلى هذه الأفكار يعزى التسامح الديني، واللين في التعامل لدى الليبرالية. حينما يستعمل مصطلح الليبرالية في مجتمعنا اليوم ينصرف الذهن غالبًا إلى مفهوم التسامح هذا قبل كل شيء، ولهذا التسامح جذره الأنثروبولوجي والمعرفي. كما أنْ تساوي حقوق الأفراد في الليبرالية،

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وحرية اختيار الزوجة، والعقيدة، والوطن، والعمل، تتعارض بنحو سافر مع عدم تساوي اتباع الديانة السائدة مع اتباع الديانات الأخرى في أسلوب التفكير الديني «(سروش، ٢٠٠٣م، ص١٥٣-١٥٤).

يرى سروش أنَّ النزعة الفردية القائمة »على تعيين الحقوق الفردية، هي التي تشكل الأرضية اللازمة لظهور نظم سياسي جديد. أما النزعة الفردية السابقة على عصر النهضة، فلم تكن مدركة لمفاهيم الحق والاعتبار والنيابة والوكالة والرئاسة المترشحة عن الانتخاب وتوسيع نطاق قوة الخيال «(سروش، ٢٠٠٤، ص٦٠).

تقوم التعددية على رفض الإيمان المطلق في قدرة العقل وصعوبة الوصول إلى الحقيقة، وتتناغم بشكل طبيعي مع دعوات ما بعد الحداثة التي تسلط الضوء على عجز العقل البشري وقيوده. يظهر التنوع الواضح في العقائد والمفاهيم كمعبر واضح عن هذا العجز، ويعد هذا التنوع طبيعيًا ولا يمكن تجنبه. يمكننا اعتماد وقبول هذه الفكرة، ومن ثم التعامل مع الآخرين بناءً على هذا السياق، حتى في حال الموافقة المبدئية على قول ((أخي! كل وجودك فكر))، الذي تحول اليوم إلى فهم آخر في ميدان الحقوق ينص على ((أخي! كل وجودك عمل)) (سروش، ٢٠٠٤، ص٦٦).

يرى سروش أنَّ »مشكلة الحكومات الديمقراطية الدينية ثلاثية الشعب: المواءمة بين رضا الشعب ورضا الله؛ إقامة توازن بين الديني واللاديني؛ التعامل بنزاهة مع الشعب والله معًا، والإقرار فورًا بسلامة وصحة حكم البشر والدين. ومن الواضح أنَّ مهمة الحكومات الدينية الديمقراطية أصعب بكثير من مهمة الأنظمة الديمقراطية أو الدينية «(سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٠٣).

يضع سروش نمطين »من النزعة الفردية، إحداهما تتلاءم مع القانون وتشق معه، والثانية معارضة له. والنزعة الفردية بشكلها الأول وليدة الاعتراف بالحقوق وتعريفها وصياغتها في قالب قانوني شامل، بحيث يدرك الجميع أنَّ حقوقهم محفوظة في ظل القانون، فلا يرون أنَّ ثمة تنافيا بين حقوقهم وبين القانون. وليس المراد بالنزعة الفردية هنا أنْ يصر كل إنسان على حقه ويتجاهل حقوق الآخرين، بل الإنسان هنا في حال احترامه لحقوقه وإدراكه لحقيقة أنَّ بعض هذه الحقوق جزء لا يتجزأ من صلاحياته ومزاياه، ويدرك أيضًا أنَّ للآخرين حقوقًا يجب عليه احترامها، وأنَّ القانون يتكفل حماية حقوق الجميع « (سروش، ٢٠٠٤، ص٥٩).

و»إنَّ المجتمع التعددي، أي المجتمع اللايديولوجي الذي لا وجود فيه للمفسرين وللتفسير الرسمي، القائم على العقل التعددي لا على العاطفة الجاذبة لمركزٍ واحدٍ، والمليء بالإنصاف والمداراة، والمحظي بالصحافة والإعلام الحر، والذي يعيش التنافس في ثناياه. أي أنَّه مليء باللاعبين. وكأنه الطبيعة المتنوعة الطافحة بالربيع والخريف وشتاء المطر والثلج، هذا المجتمع يبدأ حياته عندما يذعن الحكام والرعايا جميعًا فيه بأصالة الكثرة والطبيعة والاجتماع لا الوحدة، بأصالة التباين لا التشابه «(سروش وآخرون، د.ت، ص٥٨-٥٩).وفي نصه هذا يشير سروش إلى المجتمع التعددي الذي يستند إلى العقل التعددي بدلًا من الاعتماد على مفسرين أو تفسير رسمي. و هذا المجتمع عنده يتميز بالعدالة والمداراة، ويعتمد على حرية الصحافة ووسائل الإعلام الحرة، ويعيش في بيئة تتسم بالتنافس والتنوع.

يعد وجود الحكومة الدينية الديمقراطية أمرًا مستحيلًا في المجتمع العلماني، إذ لا تكون مسؤولة تجاه الناس أو الشعب. في هذا السياق، يظهر أنَّ النظام الأمثل للحكم في مجتمع علماني هو نظام ديمقراطي علماني. ومع ذلك، لا يمكن الجزم بأنَّ الديمقراطية الدينية غير مرغوبة في كل حالة أو في المجتمع الديني. بالواقع، يمكن للحكومة الدينية أنْ تكون تجسيدًا مناسبًا وصحيحًا للقيم في المجتمع الديني. علاوة على ذلك، يمكن أنْ تكون أي حكومة علمانية في مجتمع ديني خالية من الديمقراطية. يعتمد تحديد ما إذا كانت الأنظمة الدينية ديمقراطية أم لا على مدى مشاركة الحكومة في الحكم الجماعي واحترامها لحقوق الإنسان. في النهاية، يتطلب التوازن بين الديمقراطية والدين التقارب بين العقل والشرع (سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٠٩).

يعد الرأي المنطقي السديد أمرًا أساسيًا في سياق الحكومات الديمقراطية، إذ يقوم بتحكيم العداوات والخصومات ويتعامل مع التحديات المجتمعية. في حين في الحكومات الدينية، يتم تكليف الدين بمهمة التحكيم، في حين يترك للديكتاتوريات هذا الدور في يد فرد قوي. ومع ذلك، يجب أنْ يتم تفسير النصوص الدينية بشكل منطقي لاستنباط الحكم، إذ تقع هذه المهمة ضمن مجال العقل، الذي يجمع دائمًا فهمه للدين مع مبادئه وأحكامه الأخرى (سروش، ٢٠٠٧م، ص٢١٠-٢١١).

و»لن تكون الحكومات الدينية المؤسسة على المجتمعات الدينية ديمقراطية إلّا حين تسعى لجمع وموالفة رضى الخالق ورضا الخلق؛ وحين تكون مخلصة للاهتمامات الدينية والهموم اللادينية في آن؛ وتحترم – على قدم المساواة – العقل والأخلاق داخل مجال الدين وخارجه. ففي التوازن المراوغ والدقيق والصعب بين المجالين يكمن الإكسير النادر الذي يجد

العالم المعاصر؛ بسبب إهماله، أنَّ من المتعذر الحصول عليه أو يعتبره غير مرغوب فيه « (سروش، ٢٠٠٧م، ص٢١٤). وفيه يشير سروش إلى أنَّ الحكومات الدينية التي تتأسس على المجتمعات الدينية لا يمكن أنْ تكون ديمقراطية إلا إذا سعت لتحقيق توازن حساس بين رضى الله ورضى البشر، وكانت مخلصة في معالجة القضايا الدينية والقضايا العلمانية بالاهتمام والاحترام نفسهما.

إذ »إنَّ ممارسة الدين بأسلوب متزن وواع وإرادي ... هي المعلم المميز للمجتمع الديني. ومن رحم هذا المجتمع وحده تولد الحكومة الدينية. فمثل هذا التدين يضمن الشخصية الدينية و الديمقراطية للحكم. إذ لا تحتاج الديمقراطية للعقلانية والاتزان والوعي فحسب، بل للحرية والمشاركة الإدارية النابعة من الرضا والرغبة والقبول. تتحقق هذه العقلانية ... حين يتحقق التناغم والانسجام بين المجالين الديني واللاديني. ويسمح هذا الإحساس العقلاني بتحويل وتنويع الفهم الديني. كما أنَّ الاعتراف بمثل هذه التنويعات للفهم والتفسير سوف يدخل – بدوره – المرونة والتسامح إلى العلاقة بين الحكام والمحكومين، ويؤكد حقوق الرعايا، ويؤدي إلى كبح جماح سلوك وتصرفات الحكام. ونتيجة لذلك، سوف يصبح المجتمع أكثر ديمقراطية وإنسانية وعقلانية ونزاعة) «سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٧-٢١٨). يؤكد سر وش إلى أهمية ممارسة الدين بأسلوب متزن وورع، إذ يعد هذا التدين المفتاح لتحقيق الشخصية الدينية و الديمقراطية في الحكم. فضلًا عن بروز الدور المحوري للمجتمع الديني في تشكيل الحكومة الدينية، مع التأكيد على أنَّ الديمقراطية تحتاج إلى العقلانية والاتزان والوعي.

يتمثل الهدف الأساسي للفلسفة الليبرالية، بشكل رئيس، في تقليص دور السلطة وتحديدها بطريقة تقلل من سلطتها إلى دور يشبه دور الشرطة. تتناول هذه الفلسفة فكرة أنَّ الدولة تعد كيانًا سلبيًا ومعرقلًا، ويُحسن تقويض المضايقات والتدخلات الزائدة إلى أدنى مستوياتها. هذا المفهوم يندرج ضمن السياق السياسي للتوجه الليبرالي) سروش، ٢٠٠٣م، ص١٤٧).

و»تؤكد الليبرالية على أهمية فكرة ((أنَّ الإنسان غير معصوم عن الخطأ)) وقداستها أنَّه المبدأ الذي حل محل كل المبادئ المقدسة السابقة، وأعلن أنَّ الإنسان ممكن الخطأ، إنَّ في السياسة، أو في المعرفة، أو في الديانة. ليس الحق نقودًا في جيب هذا أو ذلك من البشر، لذلك ليس من حق أحد أنْ يتكلم بوصفه معصومًا، أو يحكم باعتباره معصومًا، الجميع يتحلقون حول مائدة واحدة، وكلهم سكان ديار واحدة، ليس لأي شخص ميزة على الآخرين أتى بها من عند نفسه أو من عند الله) «سروش، ٢٠٠٣م، ص١٥٢).نلاحظ أنَّ

سروش يشير إلى أهمية مبدأ الليبرالية في قبول فكرة أنَّ الغنسان ليس معصومًا عن الخطأ. يؤكد على أنَّ الليبرالية قد استبدلت المبادئ المقدسة السابقة بفكرة أنَّ الإنسان يمكن أنْ يخطئ في مجالات مثل السياسة والمعرفة والديانة.

يتفق سروش مع ما طرحه كانط في مسألة الليبرالية، ولاسيما في مقالته بعنوان ((ما التنوير؟))، وتحديدًا في شعاره الذي أورده في هذا المقال: ((كن جريئًا في استعمال عقلك))، ويرى سروش أنَّ هذا الشعار هو أهم شعارات الليبرالية، ويضيف أيضًا أنَّ كل ما نعرفه وما نرصده حول الليبرالية على المستوى المعرفي والانثروبولوجي يمكن استخلاصه من هذا الشعار (سروش، ٢٠٠٣م، ص١٥٣-١٤٧).

اليوم، تشهد مصطلحات مثل حقوق الإنسان، والحقوق السياسية، والحقوق الاجتماعية، وحقوق المرأة، وحقوق العمال، وغيرها، انتشارًا واسعًا في مجتمعنا. ومع ذلك، يظهر أنَّ هذه المفاهيم لم تحظ بمكانة بارزة في الأدبيات السياسية والدينية التقليدية. لا يُنكر أنَّ للناس حقوقًا، وأنَّ للمرأة والفرد حقوقهم الخاصة، إلا أنَّ الليبرالية قامت بإثارة هذه الأفكار بشكل مستقل، مع اعتراف رسمي بها، وتسليط الضوء عليها في صورة لافتات بارزة، وإنتاج كمية كبيرة من الأبحاث والدراسات حولها، بما في ذلك تحليل فروعها وتفاصيلها، واستكشاف آثارها ومؤثراتها) سروش، ٢٠٠٣م، ص١٥٧).

إذ »تضم الديمقراطية منهجًا تقييد سلطة الحكام وعقلنة مداولاتهم وسياساتهم، بحيث يكونون أقل عرضة للخطأ والفساد، وأكثر انفتاحًا على النصح والاعتدال والمشورة؛ وبحيث لا يصبح العنف والثورة أمرًا ضروريًا. إنَّ الفصل بين السلطات، والتعليم الإلزامي، وحرية واستقلالية الصحافة، وحرية التعبير، والمجالس الاستشارية على مختلف مستويات عملية صنع القرار، والأحزاب السياسية، والانتخابات، والبرلمانات، تمثل كلها أساليب وطرائق لتحقيق وتأمين الديمقراطية. وبالمقابل، فإنَّ الأمة الجاهلة، التي لا تعرف حقوقها، ولا تقدر على اكتسابها، أي الأمة المحرومة من الحق في النقد والاختيار، لن تكون قادرة على تحقيق الديمقراطية) «سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٢٠). ولكن هل بالفعل أنَّ الديمقراطية تؤدي إلى عقلنة الحكام وتقليل مخاطر وقوعهم في الخطأ، إنَّ النظام الديمقراطي لا يمتلك مثل هذا المنهج الذي يتحدث به سروش، ذلك لأنَّ الكثير من الأنظمة الديمقراطية تمتلك هفوات كثيرة في عملها السياسي، داخليًا كان أم خارجيًا، وأبسط مثال على ذلك ما يحدث في حرب روسيا – أوكرانيا، وما آلت إليه تبعات هذه الحرب على الكثير من الدول الديمقراطية، ولاسيما في مسألة الحرية، إذ تطرفت الدول الأوروبية كثيرًا في قراراتها غير المدروسة من قبيل محاربة كل ما هو روسي، ولم يسلم من ذلك حتى الحيوانات الروسية؟! وهنا ليس

دفاعًا عن دولة معينة ضد دولة أخرى، وإنَّما أنَّ النظام الديمقراطي الغربي لا يمثل قمة النضج في المجال السياسي، وحتى فوكوياما صاحب نظرية نهاية التاريخ الذي كان يرى في نظريته أنَّ النظام الليبرالي الغربي هو النظام الأمثل قد تراجع عن نظريته هذه بعد ما شاهده من أحداث ومشكلات وقعت بها هذه الأنظمة.

الحرية السياسية في السياق الدقيق تعني أنَّ حق الفرد في الحكم والسلطة ليس ممنوحًا له من تلقاء نفسه أو من قبل الله، إنَّما ينبغي له هذا الحق من قبل الآخرين. وعلى الرغم من أنَّ المفهوم البسيط للحرية السياسية يتمثل في اختيار الناس لحكومتهم عن طريق صناديق الاقتراع، إلا أنَّ هذه العملية تحمل خلفها تأصيلًا فلسفيا عميقًا يتعلق بعملية الاقتراع وانتخاب الحكومة، وتشكيل المجلس النيابي. وهذا التأصيل الفلسفي يستند إلى فهم حقوق طبيعية تتقابل مع حقوق إلهية) سروش، ٢٠٠٣م، ص١٥٤).

إنَّ »الديمقراطية منهج لكبح سلطة الحكام، وعقلنة وترشيد سياساتهم، وحمحاية حقوق الرعية، وتحقيق المصلحة العامة. يشمل هذا المنهج الانتقال السلمي للسلطة، والتشكيك في مصداقية الحكام وإخضاعهم للمساءلة القانونية، وفصل السلطات، وإقامة البرلمانات، والتعليم العام، وحرية التعبير، وحرية وتعددية الأحزاب السياسية، و استقلالية وقوة الصحافة ووسائل الإعلام، وإجراء انتخابات عامة، وإنشاء مجالس تشريعية على جميع مستويات عملية صنع القرار) «سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٣٩). نلاحظ أنَّ سروش يعد الديمقراطية منهجًا تهدف إلى تقييد سلطة الحكام وتنظيم سياساتهم، وحماية حقوق المواطنين، وتحقيق المصلحة العامة.

إنَّ سروش يقارب بين التسامح والأنظمة الديمقراطية، ذلك لكون هذه الأنظمة – بحسب رأيه – تسعى إلى إفهام الناس بحقوقهم التي يمتلكونها، فضلًا عن نشر التربية والتعليم، على العكس من الأنظمة الشمولية التي تسعى إلى السيطرة على عقول شعوبها ولا تعرفهم على حقوقهم التي يمتلكونها، وفي ذلك يقول: »حينما تدعى الجماهير إلى المشاركة، ففضلًا عن شيوع التسامح، وانبثاق سلطة ديمقراطية، ستكتسب الثقافة والصحافة والتعليم العام معانيها الخاصة. إذ كيف نتطلع إلى أنْ يشارك في عمليات التفاهم والتفهيم، أناس لا يعلمون ولا يقرأون؟ إذن، مهمة الإعلام والصحافة قبل كل شيء هي إيضاح الحقائق، ونشر الآراء المتباينة، وتعريف الناس بحقوقهم، وهي بمثابة مؤسسة لتشذيب النزعة السلطوية، وكبح جماح الحكام، وهذا على الضد تمامًا من دور الصحف في الأنظمة الشمولية غير الليبرالية، فهذه الأخيرة أدوات دعاية للحكام، مهمتها تدجين أفكار الجماهير) «سروش، ٢٠٠٣م، ص١٥٦).

التسامح والديمقراطية، ودعوة الآخرين للمشاركة في انتخاب الرئيس، وتوضيح الأمور، وتشكيل البرلمان، وغيرها، تعكس جوانب من الفلسفة الليبرالية. يؤكد الفلاسفة الليبراليون أنَّ هناك بعض القضايا والمشكلات التي لا توجد لها حلًا مقنعًا أساسًا، وأنَّه لا يوجد أمل في اكتشاف الحقيقة في بعض الحالات. يشددون على أنَّ التجارب التاريخية للبشرية تؤكد هذه الفكرة، ولذا ينبغي تجنب التشدد والتطرف في تلك المسائل، مثل قضايا الدين، والفلسفة، والحكومة. ومع ذلك، يظهر أنَّ هؤلاء الفلاسفة والمدراء والسياسيين لا يعتمدون التسامح في بعض المجالات المحددة، إذ لا يسمحون، على سبيل المثال، بالتسامح في مواجهة انتشار الأمراض المعدية أو تعاطي المخدرات وما شابه ذلك) سروش، ٢٠٠٣م، ص١٥٥).

ليس فقط افتراض الإرادة الحرة أو الاعتقاد بعدم معصومية البشر في المجتمعات الليبرالية يُعزى إلى تراجع دور الدين في اتخاذ القرارات والفصل النهائي، إنَّما أيضًا هذه الافتراضات لا تتحمل وحدها مسؤولية حياد الحكومة الليبرالية وانتشار التقييم العلمي والعملي للدين. هناك حقيقة معرفية أخرى مسؤولة جزئيًا عن ذلك: يعد الفلاسفة الليبراليين الحجج الميتافيزيقية غير قابلة للتثبت والتحقق والتكذيب. ومن ثم، يُدينون الجدل حول صحة أو زيف المعتقدات الدينية بوصفه عقيمًا ولا يمكن التوصل إليه. يشيرون أيضًا إلى ديمومة وتعددية الممارسات الدينية المتنوعة و صرامتها العقدية كدليل تاريخي. ومن هنا، يطالبون بضرورة التعايش السلمي بين المنظومات الاعتقادية المتعددة (سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٢١-٢٢٢).

يرى سروش »أنَّ الطبيعة الديمقراطية للدين لا تعتمد على نسبية الحقيقة، واعتبار المعتقدات الراسخة للمؤمنين بمثابة تهديد للديمقراطية خطأ شنيع آخر. فالشيء الوحيد المطلوب من الديمقراطية هو التسامح مع مختلف وجهات النظر وأصحابها «(سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٢٥).

و»تجد الليبرالية أنَّ نزاعات الفلاسفة والمتكلمين واتباع الديانات المختلفة حول الأفكار الدينية والكلامية والفلسفية لن تنتهي في يوم من الأيام، وترى أنَّ ذلك المعترك يشهد دومًا، وبسبب الوجدانيات والتعلقات النفسية الشديدة، صراعًا بين أنماط الإيمان، وليس بين العقول، فالاستدلالات والبراهين لا تخلو أبدًا من العواطف والنزوات والدوافع الوجدانية. ولذلك كله تقرر أنَّ باب هذه السجالات سيبقى مفتوحًا على الدوام، وهي تريده أنْ يبقى مفتوحًا، فلا تختم على هذه التجاذبات بأي ختم يفض النزاعات وينهيها، لذلك نجد أنَّها تؤمن بالتسامح في الدين والعقيدة، وتصر على هذا التسامح «(سروش، ٢٠٠٣م، ص١٦٢). ونلاحظ هنا أنَّ رؤية سروش حول هذا النص أنَّ الليبرالية ترى أنَّ النقاشات بين الفلاسفة والمتكلمين في

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المواضيع الدينية لن تنتهي، وذلك لكون هذه المواضيع تحتوي على جوانب وجدانية ونفسية وعاطفية، مما تثير العواطف بين مدة وأخرى.

مشروع الديمقراطية الدينية عند سروش:

يرى سروش أن الديمقراطية تتطلب »منا أنْ نحول انتباهنا عن حضيض ((الأسباب التبريرية)) إلى يفاع ((الأسباب الدافعة)). إذ ينتمي فصل الصدق عن الكذب، وقبول أحدهما ورفض الآخر، إلى مجال ((التبرير))؛ بينما ينتج التسامح والصبر عن تقدير ((الدافع)) «(سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٢٦-٢٢٧).

يكمن المجتمع الديني في الاختيار الحر للإيمان دون إكراه أو خضوع. العقائد الدينية تتنوع وتتغير على وفق الشخصيات الأفراد. هذا لا يقتصر على الإيمان بحد ذاته، إنَّما يشمل أيضًا الفهم الديني. كل إنسان يمتلك علاقة فريدة مع إلهه، إذ يتأمل في وحدته وينطق بصلوات سرية، ويستمع إلى إجابات حاذقة بشكل خفي. لا تعرف هذه الهمسات حدودًا أو نهاية. يستند المجتمع الديني إلى الإيمان الحر، والتواصل السري، والفهم المتجدد والمتنوع. والمجتمع الذي يظهر بشكل ديني ويفتقد إلى الإيمان هو مجرد ظاهرة خالية من الروح، وهو شكل بلا جوهر. وكل يد تقمع الحرية في الإيمان وتخنق الحيوية في الفهم الديني، سواء كان ذلك بالاعتداء أو السلب، تسبب ضررًا جسيمًا في أساس هوية المجتمع الديني (سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٣٠).

إذ »إنَّ الديمقراطية الليبرالية تستمد إلهامها وقوتها من المسلمة الأصيلة التي تقول: البشر أحرار متفردون طبيعيًا، وتتباين رغباتهم وآرائهم بشكل لا يمكن دحضه، وكبح هذا الاختلاف الممنوع أمر غير ممكن وغير مرغوب «(سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٣٤).

وتعد الديمقراطية أحد العناصر الأساسية في المجتمع وجوهر السلطة الليبرالية. في جوهرها، تعد الديمقراطية نهجًا يهدف إلى تقليل دور الفرد في السلطة وتجنب التمرد والتعسف. فمنح الفرد صلاحيات واسعة قد يزيد من فرص الخطأ بشكل كبير، في حين يتطلب الإدارة الفعّالة تقليل الأخطاء. الأنظمة التي تتطلب إصلاحًا بواسطة ثورة عنيفة أو تتسم بتأثير كبير لفرد معين، لا تعد عادة أنظمة ديمقراطية بـ شكل طبيعي (سروش، ٢٠٠٣م، ص١٦٠).

و»نظرًا لأنَّ المبادئ المسبقة للديمقراطية هي أخلاقية (متوطنة فيها)، فإنَّ الديمقراطية لا يمكن أنْ تزدهر بدون التزام بالمبادئ والقواعد الأخلاقية. إذ إنَّ احترام إرادة الأغلبية وحقوق الآخرين، والعدالة، والتعاطف، والثقة، تعد جميعًا من بين المبادئ المحورية للديمقراطية. وتراخي هذه الروابط سوف يعرض للخطر حياة الديمقراطية في أي مجتمع «

(سروش، ٢٠٠٧م، ص٢٤٥-٢٤٦).هل فعلًا أنَّ النظام الديمقراطي يقوم على مبادئ وقواعد أخلاقية؟ فنحن نعيش اليوم في مجتمعات ديمقراطية، وتغيب فيه العدالة وحقوق الإنسان، وأبسط مثال لما نطرحه هو ما يحدث في فلسطين المحتلة، إذ نرى الحكومات الديمقراطية تقف بقوة خلف الكيان الصهيوني الذي ينتهك حقوق الإنسان ويعمد إلى إراقة الدماء، وفي الوقت نفسه أنَّ هذه الحكومات الديمقراطية تقدم الدعم العسكري إلى هذا الكيان ليدمر فلسطين المحتلة، ويقتل الأبرياء، فأين هذه المبادئ والقواعد الأخلاقية التي يجب أنْ يتحلى بها النظام الديمقراطي؟

إنَّ »الديمقراطية تبغي إقامة نظام لا يحتاج إصلاحه إلى الثورة والعنف، فالأنظمة الفردية والاستبدادية هي التي تصلحها الثورة. بتعبير آخر، إصلاح صغير في الأنظمة الاستبدادية الشمولية يتزيا بزي الثورة، وثورة كبرى في النظم الديمقراطية تتخذ لنفسها شكل الإصلاح. إذن فمصطلح الأنظمة الديمقراطية هو ثائر الأنظمة غير الديمقراطية«)سروش، ٢٠٠٣م، ص١٦٠-١٦١). يرى الباحث في علاقة الثورة بالديمقراطية، يوجد سؤال جوهري لابد من طرحه: هل يمكن قيام ثورة شعبية في النظم الديمقراطية؟ هذا السؤال لم يكن مطروحاً من قبل، ذلك لأن مع تطور النظام الديمقراطي عما كان عليه عند اليونان، لم تقم ثورات لتغيير هذا النظام، لذلك لم يكن في حينها حديث –أي قبل قرن من الزمن– عن قيام الثورات في البلدان الديمقراطية، أما ما كان مطروحاً هو كيف تحويل النظم الديكتاتورية والملكية إلى النظام الديمقراطية؟ إنَّ الديمقراطية لا تدعم الثورة، وإنما تقمعها قبل بدايتها، فالمجتمع الدولي الحالي هو الداعم للحكومات الديمقراطية، فمهما ستعمل هذه الحكومات ستبقى شرعية بنظر هذا المجتمع، أي لن تتحقق الثورات أبداً في ظل قيام وبقاء النظام الديمقراطي. أما تغيير الحكومات الديمقراطية لا يأتي أبداً عن طريق الثورات أو الانتفاضات، وإنما عن طريق الانتخابات، فهذه الانتفاضات لن يتم اعتراف المجتمع الدولي بها، وإنما ستكون ورقة ضغط على الحكومات لا أكثر من أجل تعديل وإلغاء قوانينها أو قراراتها. ويمكن أنْ نقول إنَّ الديمقراطية والثورة: ضدان لا يجتمعان.

ومما تجدر به الإشارة إلى أنَّ سروش لا يرى بمعارضة الديمقراطية بالثورة، وفي ذلك يقول: «من الخطأ الفاحش القول إنَّ الديمقراطية ذات نزعة فردية معارضة للثورة. الديمقراطية ضد الفرد ومستوعبة للتحول، بيد أنَّها تجهد أنَّ لا يرتدي هذا التحول ثياب العنف (نجاحها أو عدم نجاحها في ذلك شأن آخر). في النظم الدكتاتورية يتعاظم دور الفرد، واستبدال فرد بآخر قد يترك تأثيرات هائلة في نظام الحكم. في مثل هذه الأنظمة قد يكون لكفاءة الحكام، وحتى قسوتهم، دورًا عظيمًا في البناء والحركة. أما النظام الديمقراطي

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

فهو تحديدًا ذلك النظام الذي بحسب تعريفه، إذا ذهب حاكم وجاء آخر، لم يتغير النظام، ولا الإطار العام، ولا الاتجاه السابق في إدارة الأمور. على هذا، كانت النزعة الفردية على الصعيد السياسي من سمات النظام الاستبدادي دون الديمقراطي» (سروش، ٢٠٠٣م، ص١٦١).

يرى سروش أنَّ »الليبرالية هي عدم وجود أي شخص أو شيء مقدس، خلصونا من شر المقدسات، لا تقدموا لنا أية شخصية أو عقيدة يكون واجبنا الوحيد حيالها التقديس والإجلال. إنَّنا بعد اليوم من أهل التحليل، لا من أهل التجليل. هذا هو المعنى الدقيق لليبرالية. ومن هذه التربة تنبثق العقلانية كتوأم لليبرالية. مهمة العقل أنْ يحلل وينقذ ويقيم، لا أنْ يقدس. العاطفة هي التي تقدس، لذلك نجد العاطفة تهان تلقائيًا في المنحى الليبرالي « (سروش، ٢٠٠٣م، ص١٥١).

الخاتمة

توصل الباحث إلى نتائج عدة في دراسته هذه، وهي:

١. يرى الباحث أنَّ سروش قد أولى أهمية كبيرة لموضوع الحرية، وأنَّه قد توصل إلى إيجاد معالجات مختلفة لها، عن طريق عده أنَّ الإنسان كائن اتصف بالحساسية إزاء الحرية، انطلاقًا من كونه موجودًا عاقلًا.

٢. لمسنا أنَّ سروش يقول بالتعددية الدينية، وعنده ترتكز على عمادين مهمين، أحدهما يتمثل في تنواع استنتاجاتنا من النصوص الدينية، وأما ثانيهما فيكمن في تنوع تفاسيرنا للتجارب الدينية.

٣. توصلنا إلى أنَّ سروش يربط بين ثلاث مفاهيم، وهم: العقل والعقلانية والحرية، ويرى في وجود علاقة وثيقة بين العقل والعقلانية من جهة، وبين الحرية من جهة أخرى.

٤. تلمس الباحث إلى أنَّ فكرة سروش الأساسية في الحرية إلى أنَّها تستمد قوتها ونموها من ذاتها لا من شيء آخر.

٥. يتفق سروش مع شبستري بعدم إيمانه بالنظم الشمولية، ذلك لأنَّه يرى أنَّ هذه النظم استبدادية، وهي نوعًا من حكومات العنف، مما سيؤدي بطبيعة الحال إلى تقييد الحريات في المجتمع.

٦. لمسنا في كتابات سروش صبغة صوفية عرفانية، وهذا ما لاحظنا من إشاراته المتكررة إلى كتابات جلال الدين الرومي وسعدي شيرازي، وهذه الصبغة لم تختص في مجال معين كتب فيه، وإنَّما في أغلب المجالات التي كتب فيها.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

قائمة المصادر والمراجع:

١. الأعرجي، ستار جبر حمود والعبيدي، حسام علي حسن (د.ت)، إشكالية الموضوع في المعرفة الدينية (مناقشة في آراء سروش)، ع(٤٢)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ص٧٩.

٢. بلخيري، أكرم (٢٠١٩)، التعددية الدينية كحل للتعايش السلمي، مج (٥)، ع (١)، مجلة أبعاد، جامعة وهران ٢، ص ٢٧٠.271-

٣. حرب، علي (٢٠٠٣)، عبد الكريم سروش ونقد المعرفة الدينية، ع (٢٤-٢٥)، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ص٢٨٨-٢٨٩.

٤. دواق، الحاج، ومختار، خماس (٢٠٢٣)، القراءة الحداثية للعرفان الإسلامي عند عبد الكريم سروش، مج(١٠)، ع(١)، مجلة مقاربات فلسفية، ص١١١.

٥. سروش، عبد الكريم (٢٠٠٣)، المرتكزات النظرية لليبرالية، ع (٢٤-٢٥)، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ٢٠٠٣م، ص١٤٧ - ١٦١.

٦. سروش، عبد الكريم (٢٠٠٧)، العقل والحرية و الديمقراطية في الإسلام، نقله إلى العربية: معين الإمام، العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية – الرياض، ط١.

٧. سروش، عبد الكريم (٢٠١٠)، القبض والبسط في الشريعة، دار الجديد، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

٨. سروش، عبد الكريم (٢٢٠٩)، العقل والحرية، ترجمة: أحمد القبانجي، منشورات الجمل، بغداد، ط١.

٩. سروش، عبد الكريم وآخرون (د.ت)، بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة: وجهات فلسفية في التعددية الدينية، ترجمة: حيدر حب الله، دار الهادي، بيروت – ط١.

١٠. سنوسي، سامي (٢٠١٨)، تجديد الخطاب الديني عند عبد الكريم سروش: مقاربة نقدية للدين والتدين، مج(٩)، ع(١)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص١٤١-١٤٧.

١١. كاجي، حسين (٢٠٠١)، الدين والحداثة: مراجعة في فكر سر وش، عدد (١٥)، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ٢٠٠١م، ص ٢١٤.

١٢. ملكيان، مصطفى (٢٠٠١)، عرض ونقد نظرية القبض والبسط النظري للشريعة، عدد (١٥)، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ص٢٩.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

References

1. Al-Araji, Sattar Jabr Hammoud and Al-Obaidi, Hossam Ali Hassan (D.D.), The Problematic of the Subject in Religious Knowledge (Discussion of Soroush's Opinions), p. (42), Journal of the University Islamic College, p. 79.
2. Belkhiri, Akram (2019), Religious Pluralism as a Solution to Peaceful Coexistence, Volume (5), Issue (1), Abaad Magazine, University of Oran 2, pp. 270-271.
3. Harb, Ali (2003), Abdul Karim Soroush and the Criticism of Religious Knowledge, pp. (24-25), Contemporary Islamic Issues Journal, pp. 288-289.
4. Dawaq, Al-Hajj, and Mukhtar, Khamas (2023), The Modernist Reading of Islamic Mysticism according to Abdul Karim Soroush, vol. (10), p. (1), Journal of Philosophical Approaches, p. 111.
5. Soroush, Abdul Karim (2003), Theoretical Foundations of Liberalism, pp. (24-25), Journal of Contemporary Islamic Issues, 2003, pp. 147-161.
6. Soroush, Abdul Karim (2007), Reason, Freedom, and Democracy in Islam, translated into Arabic: Moin Al-Imam, Obeikan Publishing, Kingdom of Saudi Arabia - Riyadh, 1st edition.
7. Soroush, Abdel Karim (2010), Capturing and Extending in Sharia, Dar Al-Jadeed, Beirut, 2nd edition, 2010 AD.
8. Soroush, Abdul Karim (2209), Reason and Freedom, translated by: Ahmed Al-Qabbanji, Al-Jamal Publications, Baghdad, 1st edition.
9. Soroush, Abdel Karim and others (D.D.), Between the Straight Path and the Straight Paths: Philosophical Perspectives on Religious Pluralism, Translated by: Haider Hoballah, Dar Al-Hadi, Beirut - 1st edition.
10. Sanusi, Sami (2018), Renewing the Religious Discourse according to Abdul Karim Soroush: A Critical Approach to Religion and Religiosity, Volume (9), No. (1), Al-Bahith Journal in the Humanities and Social Sciences, pp. 141-147.
11. Kaji, Hussein (2001), Religion and Modernity: A Review of the Thought of the Secret of Wash, Issue (15), Contemporary Islamic Issues Journal, 2001 AD, p. 214.
12. Malakian, Mustafa (2001), Presentation and Criticism of the Theory of Capture and Theoretical Extension of Sharia, Issue (15), Contemporary Islamic Issues Journal, p. 29.